بوابات جدة .. قصة حضارة وتاريخ

إعداد : محمد العواجي
تصوير : عبدالقادر الحسيني

أحيطت مدينة جدة قديماً بسور طيني له ثمان بوابات تفتح فجرًا وتقفل عشاءً، شيّدت من أجلّ حماية شريان الحياة في حاراتها المقسّمة آنذاك إلى ثلاثة حارات رئيسة هي: حارة الشام في الجزء الشمالي، وحارة اليمن في الجزء الجنوبي، وحارة المظلوم التي تقع بينهما. ولكل حارة من هذه الحارات "عمدة" يطلق عليه "شيخ الحارة" وهو المسئول عن الشأن العام فيها، فضلا عن أنه بمثابة همزة الوصل بين السلطة ، والشرطة، وأهل الحارة.

وعرفت بوابات جدة الثمان بباب المدينة الذي كان يقع في حارة الشام حيث كانت هذه البوابة تستخدم للوصول إلى "القشلة" وهي الثكنة العسكرية القائمة حتى يومنا هذا، كما كان الباب يستخدم لمرور العربات المحملة بالحجارة المستخرجة من المناقب الواقعة شمال مدينة جدة والطين المستخرج من بحر الطين أو ما أصبح يعرف ببحيرة الأربعين والمستخدم في بناء بيوت جدة في ذلك الوقت.

وهناك باب جديد الذي تم تشييده في مطلع العهد السعودي وهو آخر البوابات التي بنيت على السور الذي تهالك عام ١٣٦٦هـ، ويقع في القطاع الشمالي من السور شرق بوابة المدينة، وباب مكة الذي يقع أمام سوق البدو، وينفذ إلى أسواق الحراج والحلقات الواقعة خارج السور، كما يوجد باب شريف الذي يقع أمام برحة العقيلي، وباب النافعة وهو أول بوابات السور من جهة الغرب من ناحية الجنوب إلى جانب باب الصبة ثاني بوابات السور الغربية، المطل على سوق البنط "برحة مسجد عكاش" غرباً، وسمي باب الصبة لأن الحبوب المستوردة كانت تصب عنده حيث تنقى وتوضع في أكياس ثم توزن بواسطة القباني تمهيداً لنقلها لمستودعات التجار.

واحتضنت جدة قديماً أيضاً باب المغاربة وهو ثالث بوابات السور الغربية وموقعه حيث عمارة الجفالي على شارع الملك عبد العزيز حالياً وهو المخرج الوحيد للحجاج القادمين عن طريق البحر للتوجه إلى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة عبر باب المدينة وباب صريف الذي يعتبر رابع بوابات السور الغربية وموقعه بين مبنى فندق البحر الأحمر وعمارة الفيصلية حالياً ولا يُعرف مصدر تسميته بهذا المسمى.

وعدد مدير إدارة مشاريع التراث العمراني بالمنطقة التاريخية بجدة المهندس سامي بن صالح نوار المعالم التي مازالت المنطقة التاريخية بجدة عابقة ببعض منها كمرافق الميناء "الكرنتينة" وتشمل سقالة اللنشات "الإسكلة" ومقر طبيب الحجر الصحي والبنط ويشمل مرسى السنابيك وساحات ومستودعات الجمرك على الطرف الغربي من حارة اليمن حيث أطلق على ذلك الجزء في تاريخ متأخر اسم حارة البحر لعلاقته الوثيقة بأعمال البحر في ذلك العهد وقبل إنشاء الرصيف البحري في موقعه الحالي جنوب الميناء القديم .

وأشار إلى أن لفظ جدة تنطق من قبل سكانها الحجازيين بكسر الجيم مع تشديد الدال بالفتح وتنطلق أحياناً بفتح الجيم ، منوهاً بأن كتب التاريخ واللغة أشارت إلى أن تسمية المدينة يرجع لثلاثة آراء بكسر الجيم ويقال إن جدة سميت بإسم شيخ قبيلة قضاعة وهو جدة بن جرم بن ريان بن حلوان بن علي بن إسحاق بن قضاعة، ويعود نسبهم إلى الجد التاسع لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وبضم الجيم وأصل التسمية لهذه المدينة هو جُدة التي تعني بالعربية شاطئ البحر وهي التسمية التي ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان وإبن بطوطة في رحلته.

وتنطق جدة بفتح الجيم "بمعنى والدة الأب أو الأم" حيث ينسب سكان المدينة التسمية لأم البشر حواء التي يقولون أنها دفنت في هذه المدينة التي نزلت إليها من الجنة بينما نزل جدنا آدم في الهند والتقيا عند جبل عرفات ودفنت هي في جدة وتوجد مقبرة في المدينة تعرف باسم مقبرة أمنا حواء .

وتشير المسوحات والدراسات التاريخية للمنطقة التاريخية إلى أن بيوت جدة القديمة بنيت من الحجر المنقى الذي كانوا يستخرجونه من بحيرة الأربعين ثم يعدلونه بالآلات اليدوية ليوضع في مواضع تناسب حجمه إلى جانب الأخشاب التي كانت ترد إليهم من المناطق المجاورة كوادي فاطمة أو ما كانوا يستوردونه من الخارج عن طريق الميناء خاصة من الهند كما يستخدم الطين الذي كان يجلب من بحر الطين لاستخدامه في تثبيت "المنقبة" .

وتتلخص طريقة البناء لهذه البيوت في رص الأحجار في مداميك يفصل بينها قواطع من الخشب "تكاليل" لتوزيع الأحمال على الحوائط كل متر تقريباً ويشبه المبنى القديم إلى حد كبير المبنى الخرساني الحديث والأخشاب تمثل تقريباً الحوائط الخارجية للمنشأ الخرساني وذلك لتخفيف الأوزان باستعمال الخشب في حين كانت أشهر وأقدم البيوت الموجودة في جدة بيت آل نصيف وآل جمجوم في حارة اليمن وآل باعشن وآل قابل وآل باناجة وآل الزاهد في حارة الشام، ويبلغ ارتفاع بعض هذه المباني أكثر من ٣٠ متراً كما ظلت بعضها لمتانتها وطريقة بنائها باقية بحالة جيدة بعد مرور الأزمنة الطويلة .

وتتميز هذه البيوت الضاربة في أعماق تاريخ جدة وحضارتها بوجود ملاقف على كافة الغرف في البيت ، وأيضاً استخدمت الرواشين بأحجام كبيرة واستخدمت الأخشاب المزخرفة في الحوائط بمسطحات كبيرة ساعدت على تحريك الهواء وانتشاره في أرجاء الدار وإلقاء الظلال على جدران البيت لتلطيف الحرارة كما كانت الدور تقام بجوار بعضها البعض وتكون واجهاتها متكسرة لإلقاء الظلال على بعضها.

الغطاء النباتي بالباحة لوحة طبيعية تستهوي المصطافين

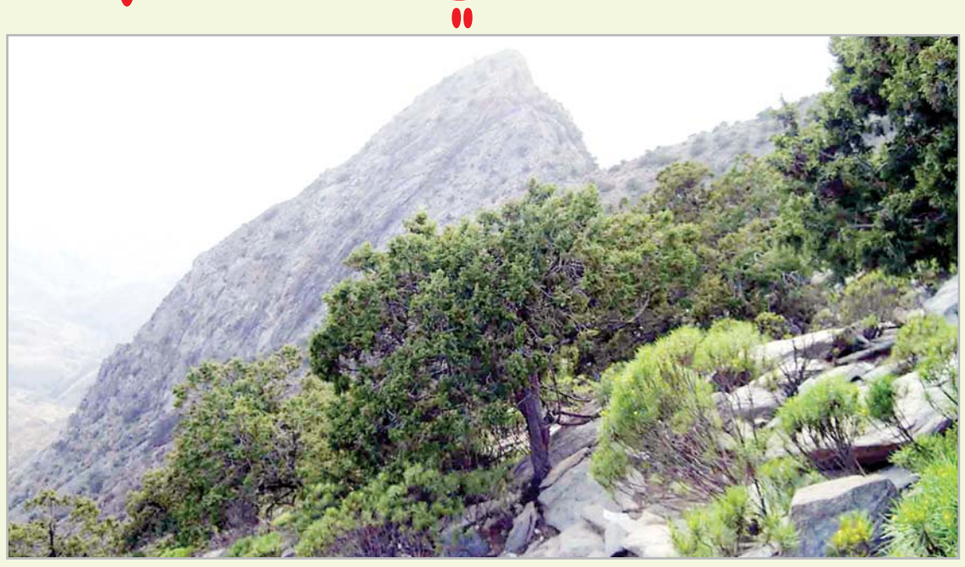

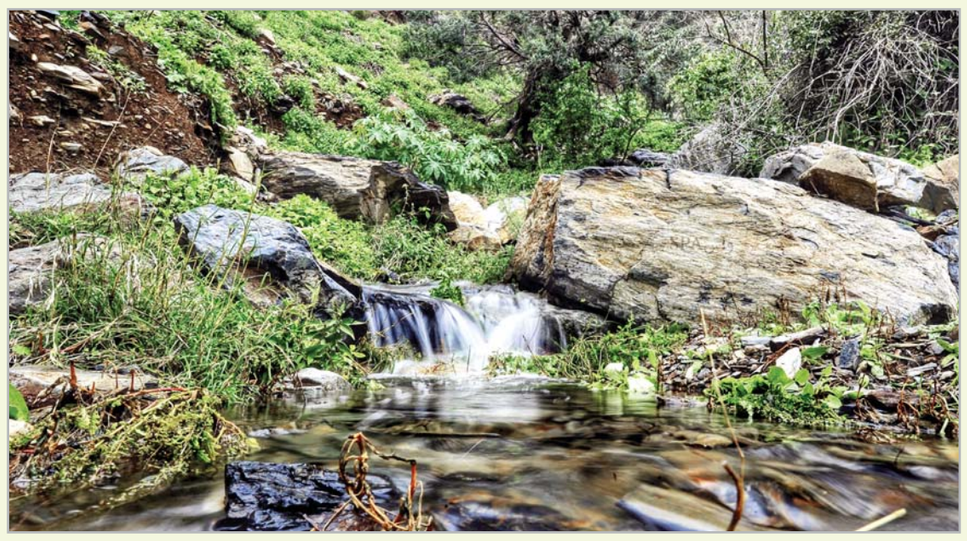

الباحة – واس

تكتسي منطقة الباحة حللاً من جمال الطبيعة الخلابة التي نسجت خيوطها على جبالها الباردة وسهولها الربيعية وتهامتها الدافئة، مزدهرة بالأمطار التي تغمرها خلال فصل الصيف مع سحب الضباب التي تخيم على رؤوس زوار متنزهاتها لترسم في عيونهم لوحة طبيعية إبداعية تضفي على المكان رونقا يبعث في النفس الراحة والسرور. ولقد حبا الله سبحانه وتعالى منطقة الباحة الطبيعة الأخاذة المتوشحة بالغطاء النباتي في مختلف أودية وجبال محافظاتها ومراكزها، فظهرت في شكل غابة واحدة خاصة في المناطق التي تنتشر فيها أشجار العرعر والطلح والزيتون الجبلي وغيرها من الأشجار والشجيرات، ما جعل الباحة أحد أبرز مصائف المملكة التي يقصدها السياح. وتزدهر الباحة بالنباتات الطبيعة التي تنمو بقدرة الله عز وجل دون تدخل بشري في الجبال والسهول والأودية، وفي أحيان أخرى ما بين أسوار المنازل والطرقات، وتعد من المصادر الدوائية التي يعتمد عليها الأطباء في علاج المرضى فيما يوصف بـ "الطب التكميلي" فضلا عن أن هذه النباتات مصدر غذائي للكثير من الكائنات الحية .

وتسهم النباتات الطبيعية في عملية التمثيل الضوئي باستخدام الطاقة الشمسية في امتصاص ثاني أكسيد الكربون وإنتاج غاز الأوكسجين اللازم لتنفس الكائنات الحية على سطح الأرض ومنع ظاهرة الاحتباس الحراري.

ويعمل الغطاء النباتي في الباحة على فلترة وتخليص الجو من الغازات السامة والغبار والمعلقات الضارة في الهواء، كما يوفر لأبناء المنطقة الموارد الطبيعية التي يستخدمها في الغذاء والكساء وخامات التصنيع، إلى جانب كونه من أهم العوامل للمكونات الاحيائية والتوازن البيئي الذي يتربع على رأسه الإنسان. ويمثل الغطاء النباتي بالمنطقة ما نسبته ٨٠ بالمائة من مساحتها الاجمالية، متكونا من أربعة محاور تشمل الغابات التي تمثل نسبة ٤٥ بالمائة من النسبة العامة، وهي دائمة الخضرة وتشمل أشجار العرعر والطلح والزيتون "العتم " وكثيراً من أشجار الأكاسيا وشجيرات الشث والطباق، وغطاء نباتي زراعي يتمثل في المزارع الموجودة في سهول تهامة والعقيق، إلى جانب النباتات العشبية الحولية التي تعتمد على موسم الأمطار .

وتعد الباحة واحدة من أكثر المناطق المحتضنة للغابات على مستوى المملكة سواء في السراة أو تهامة، مما هيأها في إيجاد تنوع كبير في غطائها الشجري والنباتي، بالإضافة إلى توفر الأودية الخصبة والمصاطب الزراعية المنتشرة.

ويوجد في المنطقة أكثر من ٤٠ غابة من أبرزها غابة رغدان وشهبة والجبل بمدينة الباحة، وفي محافظة بلجرشي هناك غابة جبر والعسلة والقمع المطلة على السهول الساحلية وغابة ماطوة الكثيفة بالأشجار والأزهار الطبيعية، وكذلك غابة حزنة والعطفين بالأزاهرة. كما تنتشر في محافظة بلجرشي غابات حوالة والملتقى وشرى والحدب ووادي الحبقة الجميل وأودية المرزوق والعذبة، بينما تنتشر في محافظة المندق عدد من الغابات والأدوية الشهيرة مثل وادي برحرح بدوس، وغابة عمضان وعويرة وآل نعمة وغابة الزرائب وجدر ومياهها الجارية على مدار العام وغابة الخلب المطلة على مدينة المندق من الجهة الشرقية. وتشتهر بقية محافظات منطقة الباحة بالعديد من الغابات والأودية التي تتميز بجريان المياه بها حتى أضحت متنفساً سياحياً للكثير من مصطافي وأهالي المنطقة. وتحظى منطقة الباحة برعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير مشاري بن سعود بن عبدالعزيز أمير المنطقة الذي يؤكد أهمية المحافظة على الغطاء النباتي الذي أصبح أحدى عوامل الجذب السياحي للباحة، بينما يتابع وكيل إمارة منطقة الباحة الدكتور حامد بن مالح الشمري توفير الخدمات والمرافق الخدمية لأهالي المنطقة وزوارها. وتبذل مديرية الزراعة بمنطقة الباحة جهود كثيفة من أجل المحافظة على الغطاء النباتي بالمنطقة من خلال عقد ورش عمل حول التنمية المستدامة وتوعية المواطنين وإجراء دراسة لبعض المساحات في الغابات من أجل استغلالها وزراعتها بالأشجار البيئية الطبيعية التي لوحظ عليها التدهور من خلال المشاتل الموجودة بمحافظتي بلجرشي والمندق بالتنسيق مع منظمة الفاو العالمية . وتجري وزارة الزراعة حالياً مشروعًا بحثيًا بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة "الفاو" يهدف إلى حصر أشجار الغابات في المنطقة ومعرفة نسبتها وعددها لوضعها ضمن دليل استرشادي لغابات منطقة الباحة.